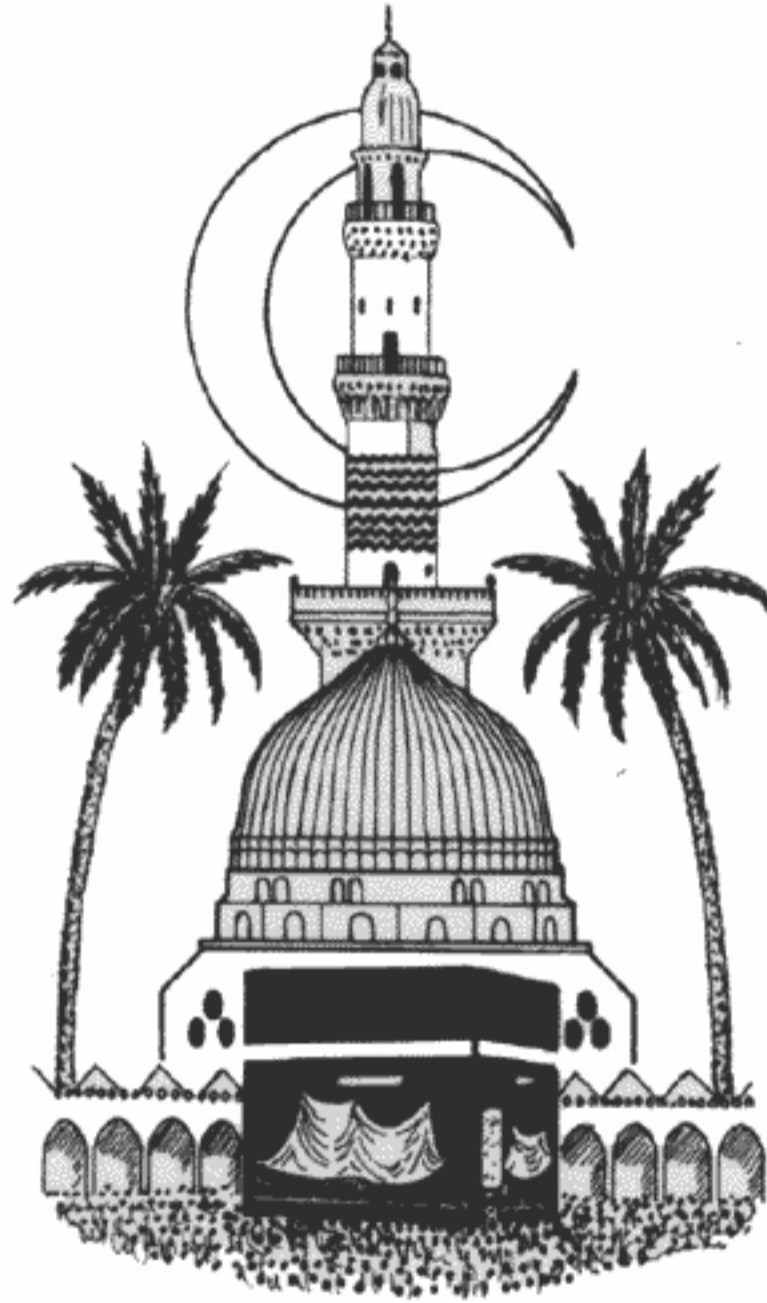




اتِّهَامُ الصُّوفِيَّةِ بِوَحْدَةِ الوجودِ وَالْحُلُولِ



من يريد الاضطلاع على كتب المركز على

الإنترنت عليه زيارة الموقع التالي :

www.douroud.org

الدار مرخص من الجمهورية اللبنانية وزارة الإعلام

بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٨ تحت رقم ٣٣٥-الجريدة الرسمية

حقوق الطبع محفوظة لصاحب الكتاب



اتِّهَامُ الصُّوفِيَّةِ بِوَحْدَةِ الوجودِ وَالْحُلُولِ

لَقَدْ اتَّهَمَ الْبَعْضُ الصُّوفِيَّةَ بِأَنَّهُمْ كَفَّارٌ لِإِعْتِقَادِهِمْ بِوَحْدَةِ الوجودِ . وَأَنَّ اللَّهَ حَلَّ بِالوجودِ . وَلَقَدْ عَشْنَا سِنِينَ طَوِيلَةً مَعَ الْمُتَّصِفِينَ ، وَعَمِلْنَا بِذَلِكَ الْحَقْلِ الرُّوحَانِيِّ ، وَلَمْ نَسْمَعْ مِنْهُمْ ذَلِكَ . وَلَكِنَّ الصِّحَافَةَ وَالْكِتَابَ الْمُتَحَدِّثِينَ لَهُمْ رَغْبَةً فِي بَيْعِ كُتُبِهِمْ وَجَرَائِدِهِمْ ، فَيُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ عَنِ مَوَاضِعِهِ ، وَيُدْسُونَ أَقْوَالَ لَمْ يَقُلْهَا أَهْلُ التَّصَوُّفِ أَثْنَاءَ الْمُقَابَلَاتِ الصِّحَافِيَّةِ مَعَهُمْ . وَهَذَا مَا حَصَلَ لَنَا شَخِصِيًّا مَعَ بَعْضِ الْجَرَائِدِ وَمِنْهَا دَائِلِي سِتَارِ وَالصِّحَافِي كَاسْتَيْلُو .

فَنَقُولُ تَوْضِيحًا لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ :

إِنَّ اللَّهَ ، جَلَّ جَلَالُهُ ، جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَقَامَاتٍ وَمَرَاتِبَ ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (الأنعام ١٦٥) . وَلَا يَرْتَقِي الْمُؤْمِنُ مِنْ

مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَّا بِالْجِهَادِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَقْلِيِّ ، وَحَسَبَ إِخْلَاصِهِ فِي دِينِهِ . قَدْ تَعَالَى

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت ٦٩) . وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ

يَتَعَرَّضُ لَهُ الشَّيْطَانُ بِإِلْقَائِهِ وَوَسْوَاسَتِهِ لِيُثَبِّتَ خَوَاطِرَهُ الضَّالَّةَ فِي سَاحَةِ الْقَلْبِ أَوْ

فِي مِيدَانِ الْأَفْكَارِ . فَتَحْصُلُ مَجَابَهَةٌ وَرَفْضٌ قَلْبِيٌّ لِتِلْكَ الْخَوَاطِرِ الضَّالَّةِ بِحَسَبِ قُوَّةِ

وَثَبَاتِ الْإِعْتِقَادِ الْإِيمَانِيِّ وَقُوَّةِ الْمُرْشِدِ الْمُرَبِّيِّ . وَتَتِمُّ تِلْكَ الْحِمَايَةُ الرَّاقِيَّةُ بِأَنَّ يَجْعَلَ اللَّهُ

تَعَالَى فِي قَلْبِهِ نُورًا مُتَوَلِّدًا مِنْ نُورِ إِيْمَانِهِ ، فِيهِ حَرَارَةٌ حَارِقَةٌ خَارِقَةٌ تَقْذِفُ الْخَاطِرَ السَّيِّئَ

فَتَمَحُوهُ وَتَطْرُدُ صَاحِبَهُ . وَكُلَّمَا تَعَمَّقَ الْمُؤْمِنُ فِي طَلَبِ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ يَتَجَوَّهَرُ عَقْلُهُ

وَيَزْدَادُ قُوَّةً وَمَعْرِفَةً وَثَبَاتًا ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى التَّرْبِيعِ عَلَى عَرْشِ الْمَعْرِفَةِ وَالْكَشُوفَاتِ

الرَّاقِيَةِ السَّلِيمَةِ . فَيُضِجُ فِي قَلْبِهِ قُوَّةَ نُورَانِيَّةٍ تَنْبَهُهُ عِنْدَ اقْتِرَابِ أَيِّ شَيْءٍ فِيهِ مَخَالَفَةٌ
لِلْعَقِيدَةِ أَوْ انْحِرَافٌ عَنِ جَانِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، فَتُرْسِلُ لَهُ إِشَارَاتٍ بَاطِنِيَّةً تَجْعَلُهُ يُحَسُّ
بِالْخَطَرِ نَحْوَ أَيِّ خَاطِرٍ سَيِّئٍ يَتَّجِهُ نَحْوَ فِكْرِهِ وَقَلْبِهِ فَيُسْرِعُ بِطَرْدِهِ . قَدْ تَعَالَى :
**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾** (الأنفال ٩) . فَقَوْلُهُ
﴿ فُرْقَانًا ﴾ أَي : هِدَايَةٌ وَنُورًا تَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ
مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فَالصُّورِيُّ الْمُؤْمِنُ مُحَصَّنٌ بِنُورِ اللَّهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعَقْلِ الْيَقِظِ ، وَالْقَلْبِ الْمَشْغُولِ بِذِكْرِ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَاللَّهُ عَلَّامٌ ، هُوَ مَنْ يُدَافِعُ عَنِ إِيمَانِهِ فِي رِحْلَتِهِ السُّلُوكِيَّةِ ، وَيَهْزِمُ خَصْمَهُ
مِنَ الْإِنْسِ وَأَجِنَّ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ قُوَّةٍ . قَدْ تَعَالَى : **﴿ إِن اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا ﴾** (الحج ٣٨)

هُنَاكَ مَعْرَكَةٌ فِكْرِيَّةٌ لَا تَزَالُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى أَصْحَابِ الْعَقَائِدِ السَّلِيمَةِ يَجِدُ الشَّيْطَانُ
فِيهَا مَكَانًا رَحْبًا لِإِلْقَاءَاتِهِ وَهِيَ مَسْأَلَةُ " وَحْدَةِ الْوُجُودِ " . فَإِذَا سُئِلَ عَنْهَا الْمُؤْمِنُ
الْتَّقِيُّ يُجِيبُ بِلسَانِ الْمَعْرِفَةِ الْمُسْتَمَلَّةِ مِنْ سَاحَاتِ التَّوْحِيدِ الْبَاطِنِيَّةِ حَسْبَمَا ذَاقَ أَثْنَاءَ
سَيْرِهِ السُّلُوكِيِّ الرَّاقِي ، حَيْثُ يَكْشِفُ اللَّهُ لَهُ الْحَقَائِقَ بِطَرِيقَةِ كَشْفِ الْعَقَائِدِ
بِالْمَعَارِفِ الْقَلْبِيَّةِ فَيُشَاهِدُ أَنَّ الْكَوْنَ مُحْتَاجٌ إِلَى مُوجِدٍ يُوجِدُهُ وَيُنْظِمُهُ وَيُرْعَاهُ وَيُعْطِيهِ
كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشْعُرَ بِالْإِحْتِيَاجِ . فَإِذَا قُلَّ " بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ " فَإِنَّهُ يَعْنِي
بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ مِنَ الْعَدَمِ ، وَلَوْلَاهُ، سُبْحَانَهُ، لَمَا كَانَ
لِلْكَوْنِ وَجُودٌ . فَلَا وَجُودَ لِشَيْءٍ بِإِلَّا مُوجِدٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى ، الَّذِي أَوْجَدَ الْوُجُودَ هُوَ
وَاحِدٌ فِي وَجُودِهِ . فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ .

فوجودُ الله ذاتيٌّ وهو الوجودُ الحقيقيُّ، لأنه الأولُ فليس قبله شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعده شيءٌ. أما الكونُ فيفتقرُ في وجودِهِ إلى مُوجدٍ يوجدهُ ولولا الموجدُ لما كان موجودًا. فوجودُ الكونِ كالعدمِ لأنه متعلقٌ بوجودِهِ بغيرِهِ. أما الوجودُ الحقيقيُّ فهو الله الواحدُ القهارُ الَّذي لا يحتاجُ إلى أحدٍ. فإنَّ وحدةَ الوجودِ تدلُّ على أنَّ اللهَ واحدٌ في وجودِهِ في هذا الوجودِ بلا كيفٍ معنا موجودٌ.

الْحُلُولُ وَالْإِتْحَادُ

الصُّوفيُّ الرَّاقِي لا يَسْتَعْمَلُ لِسَانَهُ بِالِدِّفَاعِ الْبَاطِنِيِّ عَنِ عَقِيدَتِهِ. فَاللهُ تَعَالَى يُغْلِقُ عَلَيْهِ أَفْكَارَهُ، وَيُقَيِّدُ لِسَانَهُ، أَمَا قَلْبُهُ فَيَبْقَى مُتَوَجِّهًا مُرَاقِبًا مُتَقِظًا لِلْإِشَارَاتِ النُّورَانِيَّةِ الْفُرْقَانِيَّةِ الَّتِي يُحَرِّكُهَا اللهُ تَعَالَى ضِدَّ الْخَوَاطِرِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ الْمَضْرُوقَةِ. فإِذَا أَرَادَ إبْلِيسُ اللَّعِينُ أَنْ يُلْقِيَ بِظَلَالِهِ الْكَثِيْبَةِ وَضَلَالَاتِهِ السَّيِّئَةِ نَاقِلًا تَعْبِيرًا مُعِينًا "كَلْحُلُولٍ وَالْإِتْحَادِ" بِطَرِيقَةٍ ضَلَالِيَّةٍ فَنَجِدُ ذَلِكَ الصُّوْفِيَّ الرَّاقِيَّ يُجَابَهُ الْخَطَرَ الْعَظِيمَ بِدِفَاعَاتٍ نُورَانِيَّةٍ تَصُدُّ الشَّيْطَانَ وَخَوَاطِرَهُ، وَتَكُونُ مَضْحُوبَةً بِإِهْلَامَاتٍ طَيِّبَةٍ فِيهَا إِشَارَاتٌ تُطْمِئِنُّ فُؤَادَهُ بِنَيْلِ الْأَجْرِ وَتَرْفِيعِ دَرَجَتِهِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ تَمُرُّ بِدَقَائِقِ وَثَوَانٍ، وَلَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ إِلَّا فِي الْذَّاكِرَةِ لِيَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ، فَيَفْرَحُ بِنَصْرِ اللهِ عَلَى كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَيَزْدَادُ إِيمَانًا وَتَشَبُّتًا. فَحَلُّ الصُّوْفِيِّ نُورٌ، وَخَاطِرُ إبْلِيسَ ظُلْمَةٌ قَدْ تَعَالَى: **... هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ** (الرعد ١٦)

فإِذَا اتَّهَمَ الصُّوْفِيُّ بِالتَّعْبِيرِ الْخَاطِئِ "الْحُلُولُ وَالْإِتْحَادُ" فَإِنَّهُ يَقُولُ تَوْضِيحًا: إِنِّي إِذَا دَقْتُ نُورَ التَّجَلِّيِّ وَأَنْصَبْتُ فِيهِ بِحُلِّ نُورِ رَحْمَةِ رَبِّي فِي كُلِّ جَوَاحِجِي،

فوجودُ الله ذاتيٌّ وهو الوجودُ الحقيقيُّ، لأنه الأولُ فليس قبله شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعده شيءٌ. أما الوجودُ فيفتقرُ في وجوده إلى مُوجدٍ يوجدهُ ولولا الوجودُ لما كان موجودًا. فوجودُ الوجودِ كالعدمِ لأنه متعلقٌ بوجوده بغيره. أما الوجودُ الحقيقيُّ فهو الله الواحد القهار الذي لا يحتاجُ إلى أحدٍ. فإنَّ وحدة الوجودِ تدلُّ على أن الله واحدٌ في وجوده في هذا الوجودِ بلا كيفٍ معنا موجودٌ.

الحلولُ والاتحادُ

الصوفيُّ الرّاقِي لا يستعملُ لسانه بالدِّفاعِ الباطنيِّ عن عقيدته. فالله تعالى يغلقُ عليه أفكاره، ويقيّدُ لسانه، أمّا قلبه فيبقى متوجِّهًا مراقبًا متيقِّظًا للإشاراتِ النُّورانيةِ الفرقانيةِ التي يحركها اللهُ تعالى ضدَّ الخواطرِ العقليةِ والوارداتِ القلبيةِ المضرةِ. فإذا أراد إبليسُ اللعينُ أن يلقى بظلاله الكئيبةِ وضلالاته السيئةِ ناقلاً تعبيراً معيّنًا "كالحلولِ والاتحادِ" بطريقةِ ضلاليةٍ فنجدُ ذلك الصوفيُّ الرّاقِي يجابهُ الخطرَ العظيمَ بدفاعاتٍ نورانيةٍ تصدُّ الشيطانَ وخواطره، وتكونُ مضحوبةً بإلهاماتٍ طيبةٍ فيها بشاراتٌ تُطمئنُ فؤاده بنيلِ الأجرِ وترفعُ درجته. ومثلُ هذه المعركةِ تمرُّ بدقائقٍ وثوانٍ، ولا يبقى لها أثرٌ إلا في الذاكرةِ ليأخذ منها العبرةَ، فيفرحُ بنصرِ الله على كيدِ الشيطانِ ويزدادُ إيمانًا وتثبيتًا. فحلُّ الصوفيِّ نورٌ، وخواطرُ إبليسِ ظلمةٌ قد تعالى: **هل تستوي الظلمات والنور** (الرعد ١٦) فإذا اتهم الصوفيُّ بالتعبيرِ الخاطيِّ "الحلولُ والاتحادُ" فإنه يقولُ توضيحًا: إنني إذا دقتُ نورَ التجلّيِّ وأنصبغتُ فيه بحلِّ نورِ رحمةِ ربّي في كلِّ جوارحي،